



في عينيه ألم يكدر يخنقه، يغاليه خشية أن تند عنه دمعة تفضح ما اعتمل في الحشا! يجاسرها حاصراً أنفاسه...لا.. لن أسكب دموع الألم من غير عمل!
 بالأمس كان يقول له ولده محمد (بابا.. أنا بحبك قد البيت كله) تهدم بيته بصاروخ مجنون ذهب ولده وزوجته...

لم يبق إلا حب ابنه الكبير.. حفر على أخمص بارودته الخشبي: ((وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ))

قد يتسرّب اليأس إلى قلوبنا. نحن السوريين - بعد سنتين ونيف من الإجرام الأسودي الذي دمر البلاد، واجتث منها أسباب الحياة..

يقف وراءه صلّاف روسيٌ ملحد، وحقد إيرانيٌّ أعمى، عصابات لبنانية مارقة... قد يخيم القنوط لحظة من ليل بهيم على نفوسنا ونحن ننظر إلى قلة حيلتنا، وخذلان العالم لنا...
فنقول: أنى سيأتي النصر؟!

فهل يمكن للإيأس أن يخامر القلوب المؤمنة؟
حين نقرأ القرآن ونطالع بياته المعجزة، ونتدبر آياته العزيزة، يكاد الإيأس يصبح عدوً لا يمكن أن يخترق صفوف المؤمنين..
 يحدثنا الله تعالى عن مكره وقوته، وأنه يمهل الظالمين ليبتلي بهم عباده...لكنه ليس غافلاً عنهم، فالله إذا أخذ الظالم لا يفلته...
 حين يقرأ المؤمن ذلك يمتلأ قلبه باليقين ويقول: أين مكر الله من مكر الأسد وأعوانه؟!

وأين قوته تعالى وجبروته من وسائله وأدواته! أفيمكن أن يتسرّب اليأس إلى قلب مؤمن!
إن سنة الله في إهلاك الظالمين لا يمكن أن تختلف... ولو تأخرت إلى حين..
 يقول سبحانه: ((وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ))
 وهل ظلم قومٌ، وأفسدوا في الأرض، كما ظلم آل الأسد وأعوانهم؟!

إنه أخذ الله الذي أهلك فرعون مدعي الربوبية، ونحّار الصبيان... إنه أخذ الله الجبار الذي أهلك عادا الذين نحتوا الجبال وأظهروا في الأرض الفساد ...
أفيختلف أخذه عن هؤلاء المجرمين؟!

ولكن لحكمة وفتنة يؤخر الله تعالى نصره إلى حين... في سورة النحل يخاطب الله تعالى الذين يمكرُون السَّيِّئات، ويظُنُون أنهم في مأمن من بطش الله، وعقابه، فيقتلون وبيظلمون...

يخاطبهم خطاباً ترزل له الصم الراسيات، وتبرد له قلوب المستضعفين... يخاطبهم بقوله: وَكَذَلِكَ أَخْذُ رِبَّكَ إِذَا أَخْذَ الْفُرْقَانَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ إِنَّهُ يَمْكُرُونَ وَيَمْكِرُ اللَّهُ وَمَنْ أَعْظَمُ مِنَ اللَّهِ فِي مَكْرَهٍ وَوَعِيَهِ!

يقول صاحب الظلال: إن سنة الله لا تختلف؛ ومشيئة الله لا تتوقف . فما الذي يؤمن بهم أن يأخذهم الله بذنبِهم كما أخذ من قبلهم؟... وكم ذا يخطئُ الجبارون وينخدعون بما يملكون من قوة ومن حيلة ، ويغفلون عن العين التي ترى ولا تغفل ، والقوة التي تملك الأمر كله وتباغتهم من حيث لا يشعرون فأنظرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ فَتَلَكَ بُؤُثُرُهُمْ خَاوِيَّةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَيَّةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَغَدَّ سَتَهُم بِيُوتَهُم بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا هَدَمُوا بِيُوتِ الشَّعْبِ وَشَرَدُوهُ... إِنَّ الظَّالِمَ لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْ مَأْمَنِهِ.. فَمَنْ أَيْنَ سَيَؤْتَى أُولَئِكَ الْمُجْرِمُونَ ؟

إنهم لن يؤمنون إلا من تمسكننا بحبيل ربنا، وإصلاح ذات بیننا، وتجمعنا تحت راية ليس لها غاية دنيوية، ولا مصلحة خارجية... سيؤتى البيت عندئذ من واعده... من حيث أسسوا وأشادوا، ألم يقل ربنا في كتابه: (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ خَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ)

المصادر: